هوامش

في محاولة النظام المصريّ لمحو تاريخ ورمزيّة ميدان رابعة العدويّة، كمكان يذكّر المصريين بواقعة الانقلاب ويوم المذبحة، تمّ تغيير اسم الميدان إلى هشام بركات

النظام المصري يرفض النطق بـ«رابعة العدوية» ولو بالخطأ (Getty)

ميدان رابعة العدويّة

طمس تاريخ المذبحة عبر تغيير التسمية

القاهرة ـ **العربي الجديد**

في مصر وعلى مدار السنوات الماضية، كان المصريون عندما يدللون على عدم جدية واستخفاف سياسات الحكومة وانشغالها بتوافه الأمور؛ يستشهدون ضحكًا بقرارين، الأول: هو حيرة الحكومة لفترة في إلغاء العام الدراسي السادس الابتدائي عامًا، ثم استعادته في العام التالي. والثاني: هو إطلاق اسم وزارة الصحة والسكان في عهد وزير ما، ومع تغير الوزير؛ يتم سحب كلمة «السكان» من مسمى الوزارة لتصبح وزارة الصحة فقط. وعلى غرار نكتة المصريين بالعامية «شيلوا سادسة حطوا سادسة. شيلوا السكان حطوا السكان»، يبدو أن الأمر يتكرر الآن مع ميدان رابعة العدوية، حيث استقرّ أنصار الرئيس المصري الراحل محمد مرسي، في اعتصام منذ الإطاحة به وحتى فض الاعتصام في 14 أغسطس/آب 2014 في مذبحة راح ضحيتها الآلاف.

تحولت النكتة إلى «أخلوا ميدان رابعة. غيّروا اسمه لميدان الشهيد هشام بركات. زيلوا الميدان بالكامل واستبدلوه بكوبري»، والمحصَّلة أنها كلها محاولات من النظام لمحو تاريخ وجغرافيا هذا المكان من أذهان وذاكرة المصريين. ففي قلب ميدان رابعة العدوية (سابقًا)، وعلى مقربة من مسجد رابعة العدوية، تجري أعمال تشييد أحد كباري مدينة نصر، باسم «كوبري الشهيد هشام بركات»، بهدف القضاء على مشكلة التقاطع المروري في المنطقة.

الأمر ليس مجرد نكتة، بل هو واقع فعلي، فالنظام يرفض النطق بـ«رابعة العدوية» ولو بالخطأ. وكنموذج على ذلك، ما حدث في إبريل/نيسان الماضي، أثناء افتتاح الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي عدداً من المشروعات، عندما قال أمامه رئيس الهيئة الهندسية للقوات المسلحة المصرية اللواء إيهاب الفار، أثناء شرحه أعمال توسعة الطرق وبناء المحاور المرورية في مدينة نصر، ومنها ميدان «رابعة العدوية»، فقاطعه السيسي قائلًا: «ميدان هشام بركات». ثم كرر اللواء الخطأ فلفت نظره الرئيس السيسي، للمرة الثانية بقوله محتدًا: «قلنا الشهيد هشام بركات». تاريخيًا، يعد ميدان رابعة العدوية أحد ميادين مصر ويقع في مدينة نصر شرقي القاهرة، وأخذ شهرة واسعة بعد اعتصام مؤيدي الرئيس الأسبق محمد مرسي في الميدان قبل وبعد الانقلاب العسكري في يوليو/تموز 2013. وقد سمي بهذا الاسم لوجود مسجد رابعة العدوية وهي متصوفة عاشت في القرن الثاني الهجري، وملحق بالمسجد جمعية رابعة العدوية، التي تأسست عام 1993 حيث تعد الجمعية إحدى أهم الجمعيات العاملة في مجال العمل الخيري والتنموي بالقاهرة، يدير الجمعية مجلس إدارة مكون من 11 عضواً، كما يبلغ أعضاء الجمعية العمومية 300 عضو كلهم من المتطوعين، يرأس المستشار سيد السبكي مجلس إدارتها. في عام 2015 غيرت السلطات اسم الميدان إلى «هشام بركات»، وذلك بقرار من مجلس الوزراء المصري. وكان بركات هو النائب العام الذي أصدر قرارًا بتنفيذ عمليتي فض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة. ولقي بركات حتفه في عملية اغتيال، فيما نجا جميع طاقم حراسته، يوم 29 يونيو/حزيران عام 2015. وجغرافيًا، تعدُّ هذه المنطقة في الأساس من إحدى أهم المناطق العسكرية الموجودة في الجمهورية، حيث توجد من الناحية الغربية الأمانة العامة لوزارة الدفاع ومساكن ضباط القوات المسلحة، بالإضافة لعمارة كبار قادة القوات المسلحة أثناء حرب السادس من أكتوبر أمثال المشير أحمد إسماعيل والمشير الجمسي والمشير أبو غزالة، بالإضافة إلى مصنع قادر الخاص بوزارة الإنتاج الحربي.

وقد تم محو معالم الميدان، بالمحور العلوي الذي نفذته شركة «المقاولون العرب» تحت إشراف الهيئة الهندسية للقوات المسلحة المصرية، وأطلق على المحور اسم «كوبري الشهيد هشام بركات»، بناءً على توجيهات السيسي، «لأن مصر لا تنسى أبناءها أبدًا»، على حد قوله.

تغيير أسماء الميادين والشوارع والمَرافق الهامة في الدولة، عرْف متبع عالميًا، لكنه تحول لنوع من المكايدة السياسية في مصر منذ فترة. فعلى سبيل المثال تم تغيير اسم محطة مترو حسني مبارك، بعد ثورة 25 يناير/كانون الثاني 2011، إلى محطة مترو الشهداء، تكريمًا لـ«شهداء الثورة». كما تم تغيير اسم شارع «سليم الأول» في حي الزيتون شرقي العاصمة المصرية القاهرة، إلى شارع «الشهيد أحمد المنسي» أحد ضحايا كمين البرث، بناء على مقترح تقدم به أكاديمي متخصص في التاريخ المعاصر لحذف اسم السلطان العثماني؛ باعتبار أن السلطان سليم الأول جرد مصر من استقلالها، وجعلها ولاية تابعة للدولة العثمانية، فضلا عن قتله آلاف المصريين خلال دفاعهم عن بلادهم، وأعدم السلطان المملوكي «طومان باي»، آخر سلاطين المماليك وفكك الجيش المصري.

باختصار

يعد ميدان رابعة العدوية أحد ميادين مصر ويقع في مدينة نصر شرقي القاهرة، وأخذ شهرة واسعة بعد اعتصام مؤيدي الرئيس الأسبق محمد مرسي

■■■

هشام بركات، النائب العام المصري الراحل، هو من أصدر قرارًا بتنفيذ عمليتي فض اعتصامي رابعة العدوية والنهضة

■■■

تحوّل تغيير أسماء الميادين والشوارع والمرافق الهامة في مصر، إلى شكلٍ من أشكال المكايدة السياسيّة

وأخيراً

«سنرجع يوماً إلى حينا»

معن البياري

رحم الله محمد عابد الجابري، أخبرنا إن «قياس الغائب على الشاهد» واحدةٌ من طبائع العقل العربي. من دلائل مستجدة على هذا مقالة صديقنا صقر أبو فخر «هارون هاشم رشيد .. ومقصلة الاستعارة والسطو» في «ضفة ثالثة» (2020/8/6). تنبش في طرائق سطو الأخوين رحباني على كلمات أغنياتٍ فلكلوريةٍ وقصائد شعرية، ثم «تقيس» على هذا أن أفعالهم هذه تتيح القول بنسبة 90% إن قصيدة «سنرجع يوما إلى حينا»، والتي اشتهرت بأن فيروز غنّتها (أول مرة في نوفمبر/ تشرين الثاني 1956)، هي للشاعر الفلسطيني هارون هاشم رشيد، كما هو ذائعٌ، وكما نشر في تقارير ومقالات غزيرة، ثم في مرثياتٍ وفيرةٍ عن الرجل لمّا توفي في 27 الشهر الماضي (يوليو/ تموز)، على غير ما تدوّنه مصادر ووثائق، تنسبها إلى الأخوين رحباني، كلماتٍ وتلحينا، وهو ما أكّده، بنسبةٍ مقنعةٍ، الكاتب الأعلم من كثيرين فارس يواكيم، في مقالته («سنرجع يوما» للأخوين رحباني ..) في «العربي الجديد» (2020/7/29). وفعل الأمر نفسه، في مقالةٍ تقصّت الأمر جيدا، الكاتب راشد عيسى، في «القدس العربي» (2020/8/3). وكان المؤمّل من شيخنا في «البحبشة» في العتيق والجديد، صقر أبو فخر، أن تُخالف مقالتُه من ذهبوا إلى هذا، وتردّ على الشواهد بالشواهد، بدلا من مسلك المناطقة الذي ذهب فيه، وبدلا من الوقوع في خطأ لا لزوم له، عندما نسب أغنية فيروز «راجعون» إلى هارون هاشم رشيد، فيما لا جلبة بشأن نسبتها قصيدةً إلى عاصي ومنصور رحباني. والسبق في هذه «القضية» أحرزه الكاتب المجدّ محمود الزيباوي، في مقالته في موقع المدن «من يسرق من؟» (2016/11/26)، لمّا كتب إن «سنرجع يوما إلى حينا» في أصلها أغنية لبنانية عن عودة الغريب إلى بلده، ولا علاقة لرشيد بها، وأنها من كلمات الأخوين رحباني. وصحّ ما كتبه إن الشاعر الفلسطيني المعروف لم يضمّن هذه القصيدة أيا من مجموعاته، لكنه لم يُصب الحقيقة عندما كتب أن هاشم رشيد جعل القصيدة (المغنّاة في 1956!) في ديوانٍ له صدر في 2009 عنوانه «الصوت والصدى»، فالصحيح أن هذا الكتاب يضم قصائد مختارة للشاعر، أصدرته الهيئة السورية العامة للكتاب، بمناسبة احتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية في دمشق، وهو يضم أيضا مسرحية شعرية لرشيد، والقصيدة التي أخذت عنوان الكتاب منشورة في ديوانٍ سابق. ولأنه ليس بين يدي نسخة من هذا الكتاب، ولأنه إذا صحّ أنه يضم «سنرجع يوما إلى حيّنا»، فالمرجّح، إلى حد التأكيد، أن ذلك اجتهادٌ ممن جمعوا مادة الكتاب ونشروه، من باب تكريم الشاعر في احتفاليةٍ به.

أما وتري الذي أزيده هنا في هذا الطنبور، فموجزه أن المحسوم بنسبة 99% أن القصيدة، موضع الجدل، هي للرحبانيّيْن. وبعيدا عن «قياس الغائب على الشاهد»، وقريبا مما يسلكه المناطقة، فإنها أرفع لغةً من معجم هارون هاشم رشيد في بواكيره، لا قرابة بنائية ولغوية بينها وبين قصيدة «مع الغرباء» في ديوانه الأول «مع الغرباء» الصادر في القاهرة في 1954، والتي غنّتها فيروز بتلحين الأخوَيْن رحباني ولم ينسباها إليهما. وإلى هذا، لم يضمّن شاعرنا هذه القصيدة أيا من كتبه، ولا في مجلدي «الأعمال الشعرية» اللذيْن اجتمع فيهما كل نتاجه، وصدرا عن دار مجدلاوي في عمّان، الأول في 777 صفحة في 2006، والثاني في 525 في 2008. وقد حدّثني الصديق الناقد محمد عبيد الله، أنه جاء في مقدمته المجلد الأول على «سنرجع يوما إلى حينا»، منسوبةً إلى رشيد الذي اطّلع على المقدمة، ولم يُجر تصحيحا أو يطلب حذفا، كما الأمر في كلمة الغلاف للشاعر عز الدين المناصرة. وخلت كذلك مختارات أصدرها بيت الشعر الفلسطيني في رام الله، بعنوان «الديوان» في 2015، من القصيدة التي يدرسها منسوبة إليه تلاميذ صفوف ابتدائية في سورية وفلسطين. وفي سيرته «بحار بلا شطآن ..»، وصدرت عن دار مجدلاوي، في جزئين (479 صفحة و290 صفحة)، عامي 2004 و2014، جاء الراحل على قصص وحكايات عن قصائد له كثيرة، وعن غناء عديدين لها، ولم يأت على «سنرجع يوما إلى حينا».

> القصيدة أرفع لغةً من معجم هارون هاشم رشيد في بواكيره

أجاب شاعرنا في مقابلة أجراها معه الكاتب يحيى يخلف، وبثها تلفزيون فلسطين قبل سنوات، عن أسئلةٍ كثيرة باسترسال، غير أن إجابته على سؤال عن قصة هذه القصيدة والأغنية، كانت شديدة الاقتضاب وغريبة، إنه ليست هناك قصة. والعجيب أنه كثيرا ما تم تقديمه في أمسيات شعرية له، في غير بلد عربي، باعتباره صاحب «سنرجع يوما إلى حيّنا»، ولم يحدث أنه عقّب أو صحّح أو أكّد .. تُرى، هل استطاب إشاعةً حسنةً كهذه؟ هل ثمّة قطبة مخفية في الأمر؟ ..ولكن ما بالنا ننشغل بأمرٍ كهذا؟ القصيدة، أغنية رحبانية فيروزية، بديعة وجميلة، ولتكن لمن تكون، أم أنها رغبةٌ بمناكفةٍ مع صقر أبو فخر وليس غير؟

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**